

١ - مفهوم الشعر

لعل تعريف وردزورث للشعر بأنه «الانسياب التلقائي لمشاعر عارمة» (Spontaneous overflow of powerful feelings) هو أهم أركان معتقده الشعري، وأساس من أسس النظرية النقدية الرومانسية التي تعتبر الفن تعبيراً عن شيء أو آخر. فأصل الشعر عند وردزورث هو العاطفة التي يسترجعها الشاعر في لحظات تأملية هادئة، وجوهر هذا التعريف هو أن الشاعر لا يستجيب لأي انطباع يتولد في نفسه استجابة فورية، ذلك أن هذا الانطباع وهذه المشاعر التي ولدت هذا الانطباع تغوص في أعماق نفسه حيث تتبلور وتنقى، ويخترن الشاعر الانطباع والمشاعر المولدة له في صورة مثالية، فإذا ما استرجع الشاعر هذا الانطباع فيما بعد فإنه يسترجع في نفس الوقت العاطفة المولدة لهذا الانطباع، أي أن العاطفة الأصلية التي صاحبت الانطباع الأول، تنتعش وتنشط في عقل الشاعر باسترجاع الانطباع الأصلي، فيعود بنفس الدرجة من الحدة التي كان عليها أول مرة. فالشاعر يتمتع بدرجة عالية من الحساسية تمكنه من إعادة خلق عاطفة أحس بها من قبل، وكذلك ما صاحبها من انطباعات. فالشاعر إذن إنسان حبه الطبيعة بقدره فائقة على أحياء مدركاته الحسية ومشاعره في غياب الأشياء المولدة لهذه الإدراكات الحسية والمشاعر.

وبلغة النقد الحديث نستطيع أن نقول: إن الشعر عند وردزورث هو تعبير عن الذات (Self expression) أي إطلاق لأحاسيس الشاعر الذاتية وعواطفه، ولنا في المقدمة (The Prelude) خير مثال على هذا المفهوم لطبيعة الفن عند الرومانسيين، فما هي إلا سيرة ذاتية منظومة شعراً (Versified autobiography) وتقع في ثمانية آلاف وخمسمائة بيت.

ولابد لنا من أن نؤكد هنا أن وردزورث ليس من مناصري العاطفة غير المصقولة فنياً، فهو عندما يعرف الشعر بأنه الانسياب التلقائي لمشاعر جياشه، نجده يتحفظ في تعريفه المعروف هذا ويضيف أن هذه المشاعر الجياشة تسترجع وتحس في لحظات هدوء وتأمل (Recollected in tranquility)، وهذه العملية هي أصل الشعر عنده.

وجدير بالملاحظة أن العاطفة المتأملية تنتج عاطفة جديدة هي من أصل العاطفة الأولى، ولكنها ليست هي نفسها تماماً. ويصف الناقد «رينيه ويليك» عملية الخلق الفني هذه التي يصورها وردزورث بالعبارات التالية: